﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشعراء: 40]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

طال في الضَّلال مكثهم؛ فانطمست بصيرتهم، وضلَّ سعيهم

لمّا رَسخ الضَّلال في أذهانهم، وزيّن لهم الشّيطان أعمالهم، وامتلأت بحبِّ الموروث الفاسد قلوبُهم؛ أصرّوا على كفرهم؛ فدعَوا أمهر سحرتهم، وطلبوا إلى الكليم موسى ﷺ مناظرتهم، وحثّوا على شهودها أشياعهم، وترجَّوا أن يَغلِبَ السَّحرة موسى ﷺ؛ ليبقوا بعدها على منهجهم، وذا لسوء طويَّتهم، وانطماس البصيرة لديهم[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلسَّحَرَةَ﴾: (سحر) أصلٌ يدلُّ على خِدَع وشِبْهه[2]، والسِّحْر: الخديعة، يقال: سَحَره يَسْحَره سِحْرًا؛ أي: خدعه، وسحَّره، ورجلٌ ساحِر من قوم سَحَرَة وسُحّار، وسَحّار من قوم سَحّارين[3]، والسَّحَر: القطعة من اللَّيل، يقال: لقيته سُحْرةَ وسُحَرةً، وسَحَرًا وسَحَرَ، ولقيته بالسَّحر الأعلى[4]، وأَسحَرْنا: سِرنا وقتَ السَّحَر، وكذلك: صِرنا في السَّحَر[5].

والسِّحْر: عمل يُقرَب فيه إلى الشَّيطان وبمعونة منه، كلُّ ذلك الأمر كينونَتُه السِّحْر.

ومن السِّحْر الأَخْذَةُ التي تأخذ العينَ حتى تظنَّ أنَّ الأمر كما ترى، وليس هو كما ترى، والجمع: أسْحار وسُحور[6]، والسِّحْر أيضًا:

(1) الزمخشري، الكشّاف: 3/ 312، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 502، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 137، والنّسفي، مدارك التنزيل: 2/ 562، وأبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 154، والبقاعي، نظم الدرر: 14/ 31، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 242.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سحر).

(3) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (سحر).

(4) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة: (سحر).

(5) الجوهري، الصحاح: (سحر).

(6) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (سحر).

صرف الشَّيء عن حقيقته إلى غيره[1]، والعرب تُسمِّي السِّحْرَ سِحرًا؛ لأنَّه يُزيل الصِّحَّة إلى المرض؛ لِما فيه من صرف الشَّيء عن جهته، ويقال: سحره؛ أي: أزاله عن البغض إلى الحبِّ[2]، وكلُّ ما لَطُفَ مأخذه ودقَّ فهو سِحْر[3]، والمُسَحَّر - كما في قوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾﴾ [الشعراء: 185] - أي: سُحِر مرة بعد مرة، والسّاحر لمّا أظهر الباطل في صورة الحقِّ، وخَيَّل الشَّيء على غير حقيقته سُمِّي ساحرًا؛ لأنَّه فيه صَرْفَ الشَّيء عن وجهه[4].

2) ﴿ٱلْغَٰلِبِينَ﴾: (غلب) أصلٌ يدلُّ على قوَّة وقَهْر وشِدَّة[5]، الغَلَبة: القَهْر، يقال: غَلَب يَغْلِب غَلَبًا وغَلَبَة: قَهَر، وهو غالب؛ أي: قاهر[6]، وقد غالَبَه مُغالَبَة وغِلابًا، والغِلاب: المغالبة[7]، ومعنى قوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾؛ أي: غالبين لموسى[8].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

حُـجَّـة الـلـه هـي الـغـالـبـة، وحجَّة الكافرين داحضة

يحكي المولى سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة ما قاله أشرافُ قوم فرعون على سبيل الترجِّي والطَّمع في نصرة السَّحرة على موسى وقومه؛ لعِلَّة هي الثَّبات على دينهم والانتصار لعقيدتهم، فيقول: لتنظروا أيُّها النّاس إلى ما يفعل الفريقان، ولمن ستكون النُّصرة والغلبة، لموسى أم للسَّحرة؟ فلعلَّنا نتَّبع هؤلاء السَّحرة إن كانوا هم المنتصرين على موسى وقومه[9].

(1) الأزهري، تهذيب اللغة: (سحر).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (سحر).
(3) الجوهري، الصحاح: (سحر).
(4) الأزهري، تهذيب اللغة: (سحر).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غلب).
(6) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (غلب).
(7) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (غلب).
(8) البغوي، معالم التنزيل: 6/ 112، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 137، والنسفي، مدارك التنزيل: 2/ 562.
(9) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 567، والهرري، حدائق الروح والريحان: 20/ 197.

وترشدُ الآية الكريمة إلى أنَّ المبطِل لا ينفع معه سوى قيام الحجة عليه؛ فلو وُفِّق أشرافُ قوم فرعون للحقِّ، لقالوا: لعلنا نتبع المُحقَّ منهم، ولنعرف الصواب[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

علَّة فصل الآية عن سابقتها:

حُـشـر الـنّـاس لشهود المناظَرَة، وحُثّوا على اتّباع السَّحَرة

فُصِل قوله: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾ عن سابقه؛ لأنَّه استئناف بيانيٌّ ناشئ عن سؤال مقدَّر بعد قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ۝٣٩﴾ [الشعراء: 39]، فكأنَّ سائلًا سأل: لماذا طُلِب إلى النّاس اجتماعهم؟ فقيل: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾[2]، فهذا تعليلٌ للأمر المفهوم من الجملة الاستفهاميَّة في الآية السّابقة[3].

معنى (لعلَّ) ودلالتها في الآية:

رامَ فـرعـونُ صـرْفَ الـنّـاس عـن الـدِّيـن، فـطـمَّـعـهـم في اتِّباع السَّحّارين

الأصل في (لعلَّ) أنَّه حرف مشبَّه بالفعل، يستخدَم لتوقُّع مرجوٍّ أو مَخوفٍ، وتوقُّع المرجوِّ المحبوب يُسمَّى ترجِّيًا وإطماعًا، وتوقُّع المخوف المكروه يُسمَّى إشفاقًا[4].

وهو هنا بمعنى: (كَيْ)[5]، والمعنى: (كيْ نتَّبع السَّحَرة إن كانوا هم الغالبينَ موسَى)؛ ذلك أنَّ قوم فرعون كانوا على دين فرعون، فغيرُ معقول أن يقول مَن كان على دين: أنظرُ إلى حُجَّة مَن هو على خِلافي لعلِّي أتَّبعُ ديني، وإنَّما يُقال: أنظرُ إليها كي أزداد بصيرةً بديني، فأقيم عليه، وكذلك قال قوم فرعون، فإيّاها عَنَوْا بقيلهم: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾[6].

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 591.
(2) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 10/ 70.
(3) الدرة، تفسير القرآن وإعرابه: 6/ 565.
(4) الزمخشري، المفصل، ص: 400، والسامرائي، معاني النحو: 1/ 304.
(5) البغوي، معالم التنزيل: 6/ 112.
(6) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 347.

فالمراد باتِّباع السَّحَرة في دينهم: هو البقاء والثَّبات على ما كانوا عليه؛ لأنَّه دين السَّحَرة إذ ذاك، والمقصود: المخالفة لِما دعاهم إليه موسى عليه السلام[1].

أو يكون (لعلَّ) على بابه في إفادة معنى الرَّجاء، وهو يدلُّ على أنَّهم كانوا غير متأكدين من علمهم[2]، فالمراد من قوله: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾ إنّا نرجو أن تكون الغَلَبة لهم فنتَّبعهم[3].

فالتَّرجِّي باعتبار الغلبة المقتضية للاتِّباع لا باعتبار الاتِّباع نفسه[4]، والمقصود به حضُّ السَّحَرة على بذل أقصى جهدهم ليتغلَّبوا على موسى عليه السلام، فكأنَّهم يقولون لهم: ابذُلوا قُصارى جهدكم في حسن إعداد سِحْركم؛ فنحن نرجو أن تكون الغَلَبة لكم، فنكون معكم لا مع موسى[5].

دلالة التَّعبير بالمضارع: ﴿نَتَّبِعُ﴾:

يؤتَى بالمضارع للتَّعبير عن الحال أو الاستقبال بدلالة القرينة، ولمّا كان قوله: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾ مقولًا قبل بدء المناظرة بين موسى عليه السلام والسَّحَرَة، فقد ناسَب أن يُعبَّر بالمضارع للدَّلالة على الاستقبال؛ أي: إن غلبوا فسوف نتَّبِعُهم.

يدلُّ المضارع على الحال، وبالقرينة يُصرَف للاستقبال

كما يدلُّ المضارع على التَّجدُّد والاستمرار، فقوله: ﴿نَتَّبِعُ﴾ يوحي بأنَّ هذا الاتِّباع سيكون دائمًا، وإنَّما قال: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾؛ لأنَّ السَّحَرة لم يكونوا متبوعين، وإنَّما كانوا سحرةً حُشِروا إليهم من مدائن صعيد مصر، فقالوا: إن غلبوا موسى اتَّبعناهم[6].

(1) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 77، والشوكاني، فتح القدير: 4/ 115.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5352.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 502، وابن عادل، اللباب: 15/ 24.
(4) البروسوي، روح البيان: 6/ 273.
(5) طنطاوي، الوسيط: 10/ 245.
(6) الواحدي، البسيط: 17/ 48.

معنى (أل) في ﴿ٱلسَّحَرَةَ﴾:

حَشر فرعونُ كلَّ سحَرَته؛ ليستعين بهم في تأييد باطله

(أل) في ﴿ٱلسَّحَرَةَ﴾ للاستغراق العُرفيِّ؛ أي: سَحَرة مملكته، لا كلّ سَحَرة العالَم، والمراد بهم: سَحَرة فرعون الذين حُشِروا له من مدائن مصر[1].

وقيل: إنَّما قالوا ذلك على طريق الاستهزاء، وأرادوا بالسَّحَرَة موسى وهارون عليهما السلام وقومهما[2]، فتكون للعَهد الحضوريِّ.

سرُّ الاقتصار على ذكر جانب السَّحَرة:

لا يرى المغرور إلّا نفسه الدَّنيَّة، فيحسبها فاضلة عليَّة

في قوله: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ إهمالٌ لجانب الطَّرف الآخر من طرفي المناظرة، وهو موسى عليه السلام.

وزيَّن لهم هذا القائل البقاء على ما كانوا عليه مِن الباطل بذِكر جانب السَّحَرة وإنْ كان شرط فيه الغَلَبة، ولم يسمح بذِكر جانب موسى عليه السلام فقال: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾؛ لأنَّ مَن امتثل أمر المَلِك كان حالُه حالَ مَن يُرجى منه اتِّباع حزبه[3].

نكتةُ إيثار صيغة الجمع ﴿ٱلسَّحَرَةَ﴾:

كان السَّحَرة جمعًا كثيرا، وجمًّا غفيرًا

الجمع قسمان؛ جمع قلَّة: وهو ما يُطلق للعشَرة فما دونها، وجمع كثرة: وهو ما يطلق لأحدَ عشرَ فصاعدًا إلى ما لا نهاية له، وجمع القلَّة منحصر في نوعين: **أحدهما:** جموع التَّصحيح وهو: ما سلم فيها بناء الواحد، سواء كانت لمذكَّر، نحو: (مسلمين) أو مؤنَّث نحو: (مسلمات)، وعلَّل النُّحاة ذلك في جمع التَّصحيح بأنَّه على حدِّ المثنَّى، فوجب قلَّته وحصره، وهذا ما لم يكن معرَّفًا بـ(أل) التي تفيد الاستغراق.

والآخر: ما كان على وزن (أَفْعُل)، و(أَفْعال)، و(أَفعِلَة)، و(فِعْلَة)[4].

---

(1) ابن الجوزي، زاد المسير: 3/ 339.

(2) البغوي، معالم التنزيل: 6/ 112.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 31.

(4) الفيومي، المصباح المنير: 2/ 695، والبرماوي، الفوائد السنية في شرح الألفية في أصول الفقه: 1/ 1476.

وممّا سبق يتبيَّن أنَّ إيثار لفظ ﴿ٱلسَّحَرَةَ﴾ دون (السّاحرين) كان للدَّلالة على كثرة أعدادهم، فقد كان السَّحَرة جمعًا كثيرًا، وجمًّا غفيرًا، قيل: كانوا اثنيْ عشرَ ألفًا، وقيل: خمسةَ عشرَ ألفًا، وقيل: سبعةَ عشرَ ألفًا، وقيل: تسعةَ عشرَ ألفًا، وقيل: بضعة وثلاثين ألفًا، وقيل: ثمانين ألفًا، وقيل غير ذلك، والله أعلم بعدَّتهم[1].

ولو عُبِّر بـ(السّاحرين) لما أفاد هذا التَّكثير، ذلك أنَّ التَّعريف فيه ليس لأجل الاستغراق، بل هو للعهد الحضوريِّ.

بلاغة الإيجاز بحذف المضاف في قوله: ﴿نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾:

قوله: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾؛ أي: في دينهم إنْ غلبوا موسى، ولا نتَّبع موسى في دينه[2].

النّاس على دين ملوكهم، وأتباعٌ لهوى حُكّامهم

فالمضاف المحذوف هاهنا تقديره: (دينَ السَّحَرةِ)، وليس معناه نتَّبعهم في السِّحر، إنَّما أراد نتَّبعهم في نُصرَة دينِنا وملَّتنا والإبطال على معارضتنا[3].

ولم يقولوا: نتَّبع الحقَّ سواء كان مِن السَّحَرة أم مِن موسى، بل الرَّعيَّة على دين مَلِكهم[4].

براعة الكناية في قوله: ﴿نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾:

أراد فرعون صرْفَ النّاس عن موسى وهارون

المراد من قولهم: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾ صرفُ النّاس عن اتِّباع موسى عليه السلام؛ ولذلك أهملوا ذِكرَه، وذكروا جانب السَّحَرة فقط، فليس غرضهم اتِّباع السَّحَرة، وإنَّما الغرض الكُلِّيُّ: أن لا يتَّبعوا موسى عليه السلام، فساقوا الكلام مساقَ الكناية؛ لأنَّهم إذا اتَّبعوا السَّحَرة لم يكونوا متَّبعين لموسى عليه السلام[5].

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 140.
(2) الزمخشري، الكشاف: 3/ 311.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 230.
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 140.
(5) الزمخشري، الكشاف: 3/ 312، وأبو حيان، البحر المحيط: 8/ 154، والطيبي، فتوح الغيب: 11/ 355، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 77.

وإنَّما قالوا ذلك حملًا للسَّحَرة على الاهتمام والجِدِّ في المغالَبَة[1]، وترجيةً للنّاس المجتمعين لأجْل شهود المناظرة لتأييد السَّحَرةِ وفِرعون في إنكار رسالة موسى ﷺ فلا يتَّبعونه، وليس المقصود أن يصير السَّحَرة أئمَّة لهم؛ لأنَّ فرعون هو المتَّبَع[2].

أو يقال: إنَّ فرعون لدهشته وغلَبَة ذُلِّ العَجْز عليه جوَّز اتِّباعَهم، كما طلبَ الأمر ممَّن حوله في قوله: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۝٣٥﴾ [الشعراء: 35][3].

نكتة التَّعبير بالجملة الشَّرطيَّة:

التَّعبير بالجملة الشَّرطيَّة في قوله تعالى: ﴿إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ يفيد بناء الجواب على الشَّرط بناءَ المسبَّب على السَّبب والنَّتيجة على المقدِّمة، وهاهنا جعل اتِّباع السَّحَرة مشروطًا بغلبتهم نبيَّ اللّٰه موسى ﷺ.

حثَّ فرعونُ السَّحَرَة على الغَلَب، ليحصل له خبيثَ ما طَلَب

وبمفهوم المخالفة نفي اتِّباعهم حالة خسارتهم وهزيمتهم، وفي هذا حثٌّ لهم على الجدِّ وإخراج كلِّ مهارة تعلَّموها في السِّحر، حتَّى يغلبوا موسى ﷺ؛ ليفوزوا بالحُظْوَة واتِّباع النّاس إيّاهم.

علَّة إيثار التَّعبير بـ﴿إن﴾ دون (إذا):

جيء في شَرط ﴿إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ بحرف ﴿إن﴾؛ لأنَّها أصل أدوات الشَّرط، ولم يكن لهم شكٌّ في أنَّ السَّحرة غالبون، وهذا شأن المغرورين بهواهم، العُمْي عن النَّظر في تقلُّبات الأحوال أنَّهم لا يفرضون من الاحتمالات إلّا ما يوافق هواهم، ولا يأخذون العُدَّة لاحتمال نقيضه[4]، ومع ذلك حاولوا إظهار الإنصاف استجلابًا للنّاس وإلهابًا للسَّحرة، مع تقديرهم لقطعهم بظَفَر السَّحَرَة؛ لِما رسخ في أذهانهم في الأزمنة المتطاولة من الضَّلال الذي لا غفلة لإبليس عن تزيينه، مع أنَّ تغيير المألوف أمرٌ في غاية العسر[5].

حاول القوم إظهار الإنصاف، وإخفاء ما لبسوا من الاعتساف

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 242.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 126.
(3) الشهاب، عِنايةُ القاضي وكِفايةُ الرّاضي: 7/ 11.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 126.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 31، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 77.

ويجوز أن يكون استخدام ﴿إِن﴾ على بابها في الدَّلالة على الشَّكِّ، لتصوير أنَّ القوم كانوا غير متأكِّدين من علمهم[1]؛ لأنَّ ما رآه فرعون ومَلَؤه من موسى ﷺ يختلف اختلافًا تامًّا عن ما يعرفونه مِن أمرِ السَّحَرة، وما استغاث فرعون بالسَّحَرة إلّا حفظًا لما بقي من ركام هيبته التي هدمها الحقُّ الذي نطق به موسى ﷺ ساعة ناظرَهُ، وقصَّه اللّه تعالى في أوَّل السّورة، وقد حاول فرعون جهدَه أن يُلبِس هذا الشَّكَّ ثوب التَّحقُّق بذِكر الفعل الماضي بعده والجملة الاسميَّة.

دلالة التَّعبير بفعل الكون ماضيًا بعد المضارع ﴿نَتَّبِعُ﴾:

كان القوم مِن غَلَبة السَّحَرة على ثقة، فعبَّروا بكلمات واثقة

يفيد التَّعبير بالماضي الدَّلالة على التَّحقُّق والتَّوكيد، وإذا كان هذا الفعل هو فعل الكون، كما في قوله تعالى هنا: ﴿كَانُواْ﴾ فإنَّ دلالته على التَّحقُّق تكون آكَدَ من غيره؛ ذلك أنَّه مختصٌّ بالجملة الاسميَّة فهو مِن نواسخها، والجملة الاسميَّة تدلُّ على الثُّبوت.

وهذا القدر من التَّوكيدات المستفادة من التَّعبير بالمُضيِّ والجملة الاسميَّة يدلُّ على أنَّ القوم كانوا على ثقة مِن غلبة السَّحَرة؛ إمّا لسبق معرفتهم بهم، وإمّا لكثرة عددهم.

وقد يكونون على وجل مِن هزيمة هذا الجمع أمام موسى وأخيه هارون ﷺ، فعملوا على تثبيت أنفسهم، وإلهاب السَّحَرَة للظَّفَر، واستحثاث النّاس على التَّشجيع، فقالوا مقالة مَن يوقن بمحالفة الفوز له: ﴿كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾.

نكتة التَّعبير بضمير الفصل ﴿هُمُ﴾:

التَّعبير بضمير الفصل في قوله: ﴿إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ أفاد التَّخصيص والتَّوكيد؛ أي: إن كانوا هم خاصَّة الغالبين، فكأنَّ الغَلَبَة مقصورة عليهم، فلن ينالها غيرُهم[2].

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5352.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 31.

معنى (أل) في ﴿ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾:

حصر القوم الغلب في السحرة وتخييلهم، فنضح ذلك مِن قيلهم

(أل) في قوله: ﴿ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾ أفادت استغراق صفات الجنس مجازًا على سبيل المبالغة؛ كما يقال لمن يراد الثناء عليه باستجماعه صفات الرُّجولة الكاملة: (أنتَ الرَّجُل).

فقوله: ﴿ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾؛ أي: هم الغالبون غَلَبَةً لا يُشَكُّ في أنَّها ناشئة عن مُكنَةٍ[1].

غرضُ التَّعبير بالجملة الاسميَّة دون الفعليَّة:

في التعبير بالاسميَّة ثبوت وتحقيق، وهو بتأكيد المعنى حقيق

الجملة الاسميَّة تدل على التَّحقُّق والثُّبوت والتَّأكيد[2]، وقد أوثر التَّعبير بالجملة الاسميَّة في قوله: ﴿إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾ دون الفعليَّة (إنْ غَلَبوا)؛ مبالغة في التَّحقُّق من غَلَبة السَّحَرة عتوًّا وغرورًا، وإلهابًا لحميَّة السَّحَرة لاستخراج كلِّ مهاراتهم في مغالبة موسى ﷺ، وحثًّا للنّاس على اتِّخاذ صفِّ الأقوى في التَّأييد.

وكلُّ هذا مرادٌ منه إضعاف موسى ﷺ، وزعزعة ثقته، وأنَّى لهم ذلك وهو المؤيَّد من السَّماء، المنصور على كلِّ الأعداء!.

دلالة التَّعبير بالغَلَب مادَّة وصيغة:

في الغَلَب قهر واستيلاء، وقوَّة واستعلاء

تدور مادَّة الغلب حول القوَّة والقَهْر والشِّدَّة، يقال: غَلَبَه إذا قهَرَه، وأصلُه أن يُصيبَ القاهِر غَلَبَ رقبةِ المَقهور، والأَغْلَبُ: الغَليظُ الرَّقبة[3].

ومن هنا يُفهَم أنَّ في الغَلَبة نوعَ استيلاء واستعلاء، فالغَلَبة: الاستعلاء بالقوَّة[4]، وهذا هو المراد هاهنا، أن يكون السَّحَرة هم أصحاب السَّطوة والعلوِّ؛ ليكون ذلك مصحِّحًا للنّاس أن يتَّبعوهم كما نُصَّ عليه في صَدرِ الآية.

---

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 31.
(2) القزويني، الإيضاح: 2/ 133، وأحمد مطلوب، أساليب بلاغية: 1/ 142.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (غلب).
(4) ابن كمال باشا، تفسير القرآن: 7/ 380.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الغَلَبة والهَزْم:

الغَلَبة قَهرٌ، والهَزْمُ كَسرٌ

الغين واللام والباء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على قوَّةٍ وقَهرٍ وشِدَّة[1]، والغَلَبة: القهر[2]، وممّا يدور حوله المعنى المحوريّ للجذر: الشِّدَّة مع العلوّ؛ والغَلَبة من ذلك، فيقال: غلبَه؛ أي: قهرَه، أي: قاواه فقويَ عليه وعَلاه بقوَّته[3].

والهاء والزّاء والميم أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على غَمزٍ وكَسرٍ[4]، وأصل الهَزْم: غَمزُ الشيء اليابس حتى ينحطم، كَهَزْم القِثّاء والبِطّيخ[5]، ومنه الهزيمة[6]؛ لأنَّه كما يُعبَّر عنه بذلك يُعبَّر عنه بالحَطْم والكَسْر[7]، قال الله ﷻ: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 251]؛ أي: فكسروهم[8].

والمعنى المحوريّ للجذر: تراجعٌ عن النتوء المعتاد غُؤورًا إلى داخل الشيء، والهَزْم يدور حول ذلك؛ فيقال: هزَمنا جيشَ العدوِّ؛ أي: كسرناه، وفي هذا يكون العدوُّ قد رجع إلى الخلف فصار في صفوفه تجوّفٌ وكُسور، والرجوعُ إلى الخلف من الغُؤور في الجوف[9].

الاتِّباع والاقتفاء:

اتِّـبـاع الـشَّيء أشدُّ وأقوى من اقتفائه

المعنى المحوريُّ لجذر الاقتفاء: اللَّحاق بخلف الشيء من أعلاه؛ فالاقتفاء اتّباعٌ من الخلف[10]، وأصله من القفا لأنَّ المتَّبِعَ للشخص غالبًا يصير خلفه وتابعًا لقفاه[11]، ويدلُّ ما سبق على أنَّ الاتباعَ أعمُّ من الاقتفاء.

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غلب).
(2) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (غلب).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي: (غلب).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (هزم).
(5) الراغب، المفردات: (هزم).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (هزم).
(7) الراغب، المفردات: (هزم).
(8) الواحدي، التفسير البسيط: 4/ 340، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 3/ 256.
(9) جبل، المعجم الاشتقاقي: (هزم).
(10) جبل، المعجم الاشتقاقي: (قفو).
(11) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (قفو).

وأمّا المعنى المحوريّ لجذر الاتباع فهو: لُحوقُ الشيء بمتقدِّم أو سابق بلا فصل، ومن ذلك التَّبيع: وهو ولد البقرة في أوَّل سنة، وذلك لأنَّه يتَّبع أمَّه بعدوٍ ولا يفارقها[1].

ويقال: تابَعَ فلانٌ بين الصلاة وبين القراءة إذا والى بينهما، ففعل هذا على أثر هذا بلا مهلة بينهما[2].

ويتبيَّن ممّا سبق أنَّ اتّباعَ الشيء أشدُّ وأقوى من اقتفائه؛ لِما في الاتّباعِ من الالتصاق وعدم الانفصال والمفارقة، ولأنَّه أدلُّ على شدَّةِ تعلُّقِ المتَّبِع بالمتبَّع.

(1) الخليل، العين، والجوهري، الصحاح، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (تبع).
(2) الخليل، العين، والأزهري، التهذيب: (تبع).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والثلاثون،
سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 38 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-80-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 38 : المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-80-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5248773 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»